سياسة المماليك تجاه بعض عشائر الفرات الأوسط 1749-1831

د. احمد يونس زويد الجشعمي
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية

المقــدمة

في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي انتقل الحكم في العراق من الولاة العثمانيين إلى المماليك الذين جلبوا من بلاد الكرج وغيرها من البلدان ليتولوا الحكم في بغداد وكان وصول حسن باشا الى الحكم في العراق عام 1704 بداية الطريق لتولي هؤلاء المماليك الحكم من بعده، إذ عمل على جلبهم ومن ثم عنايته بهم وإعدادهم للوظائف الإدارية والعسكرية، وهذا النهج سار عليه من بعده ولده احمد باشا. ويعد عهد المماليك الممتد من 1749 حتى عام 1831 من المواضيع المهمة والجديرة بالبحث والدراسة لما انحاز به من إحداث جسام منهما ثورات العشائر في العراق عامة وفي مناطق الفرات الاوسط بشكل خاص إذ شهدت هذه الحقبة من الحكم هجمات وغزوات وثورات عشائر الفرات الاوسط وما جاورها ضد سياسة المماليك في المنطقة، الامر الذي دفعنا ان نتناولها بالبحث الدراسة العلمية الجادة وسنتناول الكثير من جوانبها السياسية لاسيما وان بعض العشائر لها باع طويل في مقاومة المماليك في الفرات الاوسط.

اشتمل البحث على عدد من النقاط الرئيسة منها موجز تاريخي عن المماليك في العراق ودور حسن باشا وابنه احمد باشا في منح المماليك القوة والقدرة على الحكم في العراق.

وتطرق البحث عن الأسباب التي أدت الى الثورات العشائرية في الفرات الاوسط ولعل اكثر هذه الثورات كان سببه سوء الإدارة وجسامة الضرائب التي كانت تفرض على العشائر من اجل إرضاء الباب العالي، وسد نفقات الحروب التي كان يشنها المماليك على عشائر العراق وعلى الحدود مع الدولة الفارسية، وواجه المماليك في بداية حكمهم العراق خطر ثورات عشيرة الخزاعل التي ادت الى إضعافهم، ولم يقتصر الحال على الخزاعل إنما امتد الى عشائر فراتيه اخرى منها عشيرة الزبيد التي وقفت موقفاً مشرفاً في وجه المماليك وعملت على زعزعة اوضاعهم، وتناول البحث ثورات بعض العشائر التي كانت تسكن لواء الحلة منها عشائر عنزه والصقور والقشعم التي كانت تثور تارة وتهدأ تارة اخرى.

واستند البحث إلى مصادر عديدة، منها كتب عربية ومعربة، العربية كان منها الاساس والمهم مثل " مطالع السعود باخبار الوالي داود لمؤلفه عثمان بن سند البصري الذي يعد المؤرخ الرسمي للوالي داود باشا، إذ تعامل الباحث مع هذا الكتاب بشيء من الدقة والحذر لانه قد يؤرخ ما يرضي واليه"، ومن المصادر العربية المهمة التي اعتمد الباحث عليها، كتاب تاريخ العراق بين احتلالين لمؤلفه عباس العزاوي الذي يعد منهلاً مهماً في تغطية احداث الحقبة التي تطرق عنها البحث، اما الكتب المعربة التي افادت البحث منها هو كتاب (دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء) لرسول الكركوكلي، إذ ان المؤلف عاصر حكم المماليك، والف كتابه بامر من داود باشا، وفصّل الكركوكلي في كتابه ما وقع مدة الحكم المملوكي في العراق من احداث ذاكراً الولاة المماليك جميعهم وما شهدته عهودهم من احداث، ومن الكتب الاخرى التي استعملت في البحث كتاب (تاريخ بغداد) لمؤلفه سليمان فائق الذي عاصر هو الاخر حكم المماليك، وهناك مصادر معربة أخرى مهمة وقيمة منها كتاب (رحلة نيبور للعراق في القرن الثامن عشر) للرحالة نيبور الالماني وهذا الكتاب يعد خير من وصف بغداد في تلك الحقبة.

ولأجل معرفة الكثير عن بعض المسميات من المناطق والقرى وأسماء العشائر استعان الباحث بعدد من الرسائل والاطاريح الجامعية التي أفادت البحث بالكثير من المعلومات الجيدة، في حين عززت الكتب الاجنبية كثيراً من المعلومات التي تخص مادة البحث، لاسيما وان قسماً من مؤلفيها كانوا على معرفة تامة بالمنطقة وبالاحداث التي اقترنت بها، بسبب كونهم رحالة عاشوا الحدث عن كثب، وأخيراً اعتمد الباحث على عدد من الدراسات وبعض المجلات والموسوعات التي أفادت الباحث بالكثير من المعلومات.

موجز تاريخي عن المماليك [1] في العراق

تضمنت مدة حكم الوالي حسن باشا[2] (1704 – 1723م) مشاكل كثيرة، منها تفكك الالة العسكرية المتمثلة بقوات الانكشارية[3]، وتهربها من المسؤولية وتحولها الى الة فساد وفوضى حتى كان اكثرهم لا يلتزم بالأوامر العسكرية، ويكاد حضوره الى الجيش يكون معدوما، الامر الذي ادى الى تفاقم مشكلة الجيش أمام حسن باشا[4].

ووجد حسن باشا نفسه امام الامر الواقع وهو استعمال قوة بديلة عن الانكشارية تتكون من غير العراقيين [5]، إذ إنّ مشاكل المجتمع العراقي الذي تسوده العادات العشائرية وتتحكم فيه العصبية القبلية التي حالت من دون احترام حكومة حسن باشا واطاعة انظمتها، فضلاً عن صعوبة اتخاذ قوة مؤلفة من العراقيين آنذاك يستند اليها في تحقيق ما يصبو اليه، لصعوبة انقيادهم للأسباب السالفة الذكر، لذا قام حسن باشا بشراء بعض الفتيان من اسواق مدينة تفليس والمدن الجورجية الاخرى وبلاد الشركس، وجميعها من بلاد القوقاز او ما جاورها، وكان هؤلاء يجلبون فيودعون في مدارس خاصة ليتعلموا القراءة والكتابة والسباحة والفروسية وفنون القتال[6].

أسس حسن باشا في بغداد دائرة خاصة سماها (ايج دائرة سي)[7] أي الدائرة الداخلية مهمتها الاشراف على شراء المماليك وتدريبهم، كانت هذه المدرسة تضم ابناء بعض الاسر العراقية والعثمانية الا ان عدد هؤلاء كان قليلاً مقارنة بالعدد الكبير من المماليك[8].

وعندما تولى الحكم من بعده ولده احمد باشا[9] زاد من عملية جلب المماليك والعناية بهم حتى اصبحوا قوة لا يستهان بها واتخذ بعضهم حرساً يعتمد عليهم وتولى عدد كبير منهم ادارة بعض المدن العراقية واعمال حكومية اخر[10]، ولما كثروا وتدربوا على الاعمال الحكومية تعاظم شأنهم وثبتت اقدامهم في العراق تسلموا أمور الحكم فيه. [11]

بدأ حكم المماليك في العراق عام 1749م بولاية سليمان باشا (ابو ليلة)[1] وانتهت في عام 1831م بولاية داود باشا[2]، وكان لواء الحلة واحداً من المناطق العراقية التي كانت في حالة يرثى لها لان المماليك ارتكبوا أبشع الفظائع بحق عشائر الحلة.[3]

---

(1) اسم عربي يطلق على اولئك العبيد البيض، والمملوك في العربية هو العبد سواء أكان ابيضاً ام اسوداً، ينظر: علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق، 1750–1831، بغداد، 1975، ص25.

(2) الوالي العثماني حسن باشا حكم ولاية بغداد من 1704–1723م.

(3) وهي قوات عسكرية اوجدها العثمانيون، مكونة من الغلمان الأوربيين الذين تم اسرهم في اثناء الفتوحات العثمانية وأدخلوا المدارس ومنهم من دخل الجيش ليتعلم القوة ويستلم مهاماً عسكرية في الجيش العثماني. ينظر: محمد فريد، تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة، 1912، ص ص41– 43.

(4) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، القاهرة، 1957، ص37.

(5) علاء نورس، المصدر السابق، ص25.

(6) ساطع الحصري، المصدر السابق، ص37.

(7) كلمة تركية تعني الدائرة الداخلية أي القسم الخاص من القصر. ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط4، بغداد 1968، ص423.

(8) المصدر نفسه، 198.

(9) استلم الولاية بعد وفاة ابيه عام 1723 الى حين وفاته في المنصورية بالعراق عام 1747، شغل عدة مناصب منها ولاية شهرزور وولاية قونية وولاية حلب وولاية البصرة. ينظر: محمد ثريا، سجل عثماني او تذكرة مشاهير العثمانيين، ج1، استانبول، د.ت، ص250.

(10) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، بيروت، 2005، ص154.

(11) علاء نورس، المصدر السابق، ص26.

ان سكان الحلة لم يشعروا بالهدوء الا اعواماً قليلة، لان الثورات العشائرية على الحكومة في داخل الحلة واطرافها قائمة على قدم وساق مما اثر على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ([4]، وكان اهل الحلة ينظرون الى هؤلاء الحكام نظرة فيها كثير من الكراهية، إذ يرونهم لصوصاً همهم الأول جمع الضرائب والاستيلاء على خيرات البلاد وعدم قيامهم بتقديم الخدمات الاجتماعية لأهلها.

أسباب الثورات العشائرية في منطقة الفرات الاوسط

كانت ثورات العشائر وحركاتهم كثيرة الوقوع في مناطق متفرقة من العراق في ظل حكم المماليك، وكرس الوالي عنايته لقمع كل الثورات كلها بالقوة احياناً وبسياسة الترضية احياناً اخرى.[5]

ولعل من الأسباب الهامة لهذه الثورات هو ان بعض عشائر الفرات الاوسط وخاصة الحلية منها تمتنع عن دفع ما عليها من ضرائب للحكومة لجسامتها وفداحتها، والتي تثقل كاهل الفرد، لذا أعلنت العشائر عن تذمرها وعصيانها على الحكومة.[6]

إنّ العادات والتقاليد في المجتمع العربي والعراقي الذي يتميز بتكوينه العشائري الذي يجعل من الولاء المطلق لشيخ العشيرة وللعشيرة ذاتها، جعلت من الصعب الخضوع للحكومة وقوانينها.[7]

وتحمل الولاة المماليك مشاقاً كثيرة ادت الى استنزاف طاقاتهم البشرية والمعنوية والمالية فكانت الحملات العسكرية التي تشنها الحكومة على العشائر العراقية في الحلة مكلفة جداً، ولهذا نرى ان الولاة المماليك كانوا يسيرون على نهج قمع الثورات العشائرية في اثناء حكم كل والٍ منهم.[8]

ان تلك الحملات التي يقودها الحكام المماليك تؤدي الى تشريد افراد العشيرة وقتل بعضهم، فضلاً عن الاستيلاء على ممتلكاتهم من الاموال والمواشي، إذ كان القادة المماليك يعدوها جزءاً من الغنائم الحربية، يجب توزيعها فيما بينهم، ويرافق ذلك خلع شيخ العشيرة او تبديله أو فراره الى مكان اخر.

ومن الأسباب الاخر التي شجعت عشائر الفرات الاوسط على الثورة هو انشغال حكومة المماليك في مواجهة الهجمات الفارسية مما أدت تلك المواجهات الى انهاكها وانشغالها مما نتج تكاثر الثورات في منطقة الفرات الاوسط [9]، فاتبع المماليك سياسة (فرق تسد) الاستعمارية لتلافي تلك الثورات والوقوف ضدها، فاتبعوا سياسة ضرب رئيس العشيرة بابن عمه او اخيه، إذ كان المماليك يحركون رؤساء العشائر بحسب اهوائهم من اجل تفرقهم ومن ثم السيطرة عليهم.

ومن عشائر الفرات الاوسط التي وقفت بوجه المماليك في هذه المدة:

---

(1) سمي ابو ليلة لحملاته التي كان يغير بها في الليل، ولقب بدواس الليل، وابو سمره، وحكم سليمان باشا العراق للمدة 1749–1762. لمزيد من التفاصيل ينظر: كارسنن نيبور، رحلة نيبور للعراق، في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الامين، بغداد، 1965، ص59.

(2) حكم داود باشا العراق 1816–1831 وهو اخر الولاة المماليك. ينظر: عبد العزيز نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة، 1968، ص22.

(3) يوسف كركوش الحلي، تاريخ الحلة، ق1، ط1، النجف، 1965، ص124.

(4) المصدر نفسه، ص124.

(5) علاء نورس، المصدر السابق، ص148.

(6) علاء نورس، المصدر السابق، ص149.

(7) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص124.

(8) علاء نورس، المصدر السابق، ص149.

(9) المصدر نفسه، ص ص149–150.

أولا: عشيرة الخزاعل[1]

واجه المماليك في بداية حكمهم عشائر الفرات الاوسط ومنها العشائر الحلية، بيد ان دور العشائر في مدة حكم سليمان باشا (ابو ليلة)، كان ضعيفاً لما عرفوه عن هذا الوالي من انه ((شديد الوطأة على كل من يعبث بالامن لا سيما بعض العشائر المتمردة))[2]. وانه لا يراعي أي مبدأ او ذمة في ضرب الخارجين عليه[3].

وبعد وفاة سليمان باشا (ابو ليلة) عام 1762م اضطربت البلاد ما يقارب سنتين آلت بعدها الأمور الى عمر باشا وكان ذلك عام 1764م[4]، إذ بدأ حكم عمر باشا (1764-1775) م بالهجوم على شيخ الخزاعل حمود الحمد[5] الذي استفحل امره وصار بمثابة دولة يأمر وينهي[6]، إذ انه لم يلبِ أي امر تصدره حكومة الوالي، ففي عام 1764م جهز له الوالي جيشا كبيرا سار به من بغداد بعد سماعه اخبار قيام حمود الحمد بعقد عهد مع القبائل المجاورة له وأصبحت عشائر المنطقة كلها تحت امرته حتى ان المؤرخين اطلقوا على هذا التحالف ((الاتحاد العشائري)). [7]

سارت الحملة حتى وصلت الى منطقة لملوم (الحمزة الشرقي حالياً)[8]، وهي المنزل الرئيس لشيخ الخزاعل وهناك دارت رحى معركة طاحنة بين الحكومة والعشائر المؤتلفه حتى اقاموا على هذه المنازل الحصون والخنادق والحواجز، إلا ان كثرة جيش المماليك وتغلغلهم في صفوف العشائر ساعدت على تدمير القلعة المحصنة والحواجز المنيعة في ثلاث ساعات من القتال، واستولى الجيش على غنائم كثيرة وتم اعدام اعداد من رؤساء القبائل المتحالفة، اما شيخ الخزاعل فلاذ بالفرار تخلصا من قبضة الجيش المملوكي، لذا اصدر الوالي امراً بخلعهِ من المشيخة وعين شيخاً آخر محله، إلا ان الشيخ حمود ظهر ثانية واعطى الوالي المواثيق والعهود بالطاعة وبناءً على هذا تم اعادة المشيخة له.[9]

واستعمل الوالي سليمان باشا الكبير الذي حكم ولاية بغداد (1780-1802) اعنف الاساليب العسكرية ضد ثورات عشائر الحلة، إذ كان يرسل الى لواء الحلة حملات مستمرة لاخماد ثورات عشيرة الخزاعل وشيخها حمد الحمود الذي ظل

---

(1) الخزاعل: عشيرة قوية ترجع اصولها الى طي بن شمس بن قحطان، يسكنون غرب السماوة ومناطق الحلة وذات شرف ورئاسة منذ منذ أقدم الازمنة وجدها علي بن جعبل بن علي بن سليمان الخزاعي الذي كان من اشراف الكوفة القديمة ويقال ان الديوانية نفسها كانت ديواناً لاجداد القبيلة، وتنقسم على قطبين هما آل عبطان وآل شعلان. ينظر: علي صالح الكعبي، دراسات تاريخية عن العشائر والاعلام العراقية، ج2، ط2، مؤسسة دلتا للطباعة والنشر، بيروت، 2010، ص57 ؛ بهجت عبد الواحد، محمد العريس وآخرون، موسوعة قبائل وعشائر العرب، المجلد الاول، ط1، منشورات دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص378.

(2) علي الوردي، المصدر السابق، ص158.

(3) Edward. Lives, Voyage from England to India 1754, London, 1898, p. 250.

(4) تولى عمر باشا حكم المماليك في العراق عام 1764 بعد مقتل علي اغا في بغداد. ينظر: رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء، ترجمة علاء موسى نورس، بيروت، 1963، ص ص28-38.

(5) حمود الحمد آل عباس، هو رئيس عشيرة الخزاعل العربية ووالد الشيخ حمد ال حمود ابتدأت رئاسته للعشيرة عام 1740 حتى وفاته في البصرة عام 1772. ينظر وادي العطية، تاريخ الديوانية قديما وحديثا، النجف، 1954، ص20.

(6) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، بغداد، 1954، ص ص39-40.

(7) علي الوردي، المصدر السابق، ص161.

(8) لملوم: وهي منطقة واقعة على الفرات جنوب الديوانية حاليا. ينظر:

Sestni. par, Vayaje de cdnstantindple a Bassora in 1781 parle tigree at Euphrat, London, 1898, p. 233.

(9) لو نكريك، المصدر السابق، ص209.

ثائرا على الحكومة، وكان الخزاعل يستعملون خططا دفاعية منها استعمال الانهار والاهوار[1] خطوطا منيعة لحماية قواتهم قواتهم العشائرية، إلا ان هذه الموانع لم تقف حائلاً امام حملات سليمان باشا الكبير اذ انها كانت تحقق اهدافها بالرغم مما تلاقيه من متاعب ومشاق.[2]

وعلى الرغم ما لاقته عشيرة الخزاعل والعشائر المتحالفة معها إلا أنهم لم يذعنوا لشدة وعنف الوالي المملوكي، بل كانوا يقفون بوجه سليمان الكبير في أي وقت يرونه ملائما، ففي عام 1782 وصل سليمان الكبير الى السماوة وعندها حضر حمد الحمود شيخ الخزاعل وقدم له الهدايا، واظهر له الوالي حسن القبول واللطف ومنحه المشيخة، إلا ان الاثر السلبي الذي خلفه وباء الطاعون في البلاد ادى الى انحلال النظام واختلال الامور وضعف الحكام[3]، فبعد رجوع سليمان باشا الى بغداد اعلن حمد الحمود ثورته على الحكومة ولهذا السبب امر سليمان باشا بعزله وتعين الشيخ محسن محله.[4]

جهز سليمان الكبير جيشا لقمع انتفاضة حمد الحمود خرج به من بغداد ونزل في الديوانية ونصب خيامه قرب نهر الفرات من جهة الشمال وبعد ان علم حمد بهذه الحملة اجرى اتصالات مع رؤساء العشائر المجاورة، وتمكن من التحالف معهم واعدوا العدة وتحصنوا في منازلهم التي تحيط بها الاهوار والانهار واخذوا يضعون العراقيل في طريق الجيش المتجه نحوهم، فعمل سليمان على سد نهر الفرات سداً محكماً عام 1782، ولما علمت العشائر المتحالفة وعلى راسها عشيرة الخزاعل بهذه التدابير ايقنوا ان سليمان عازم على هلاكهم ومواشيهم من العطش، وان الاهوار ستنحسر مياهها ويبقون بلا ملجأ[5]، ولهذا تفككت هذه العشائر وخرجت بصعوبة من تلك المشكلة الامر الذي دعا حمد الحمود للفرار الى غربي الفرات الفرات (منطقة الجزيرة)، مما دفع الوالي إلى جمع الضرائب المتبقية من تلك العشائر واستيفاء الغرامة المفروضة عليهم نتيجة لثورتهم، بعد ذلك ارسل الشيخ حمد الى سليمان الكبير يرجو عفوه، فاستجاب له واعاد اليه مشيخته. [6]

علاقة الشيخ محسن شيخ الشامية بعشيرة الخزاعل

في عام 1783 م قام الشيخ محسن شيخ الشامية بانتفاضة على الحكومة إذ قام بعمليات الحقت الضرر بالحكومة مما دفع سليمان باشا الكبير ان يجهز جيشا كبيرا لقمع تلك الانتفاضة، اما الشيخ محسن فأخذ بإجراء التدابير اللازمة لصد هذا الهجوم فتحصن وعشيرته في ديارهم المعروفة بـ (السيبايه)[7]، واعتمد على رصانتها وقوة عشيرته، وعندما وصلت قوات سليمان باشا تلك الديار استعمل الاخير طريقة النصح مع الشيخ محسن فلم يفلح، مما دفع القوات الحكومية إلى الهجوم عليه فتشتت عشيرته وفر الشيخ محسن وتمكن الجيش من نهب ديار واموال عشيرته التي اصبحت غنائم لجيش الحكومة، وخلع الشيخ محسن والحقت مشيخته بالشيخ حمد الحمود شيخ الخزاعل الذي اصبح شيخ الشامية والجزيرة والخزاعل.[8]

---

(1) ابرز هذه الاهوار هي (هور ابن نجم في الجهة الشرقية من شط الشامية الحالي، واهوار لملوم التي تمتد من لملوم شمالاً وحتى السماوة جنوباً). ينظر: حمود الساعدي، بحوث عن العراق وعشائره، النجف، 1990، ص77-78.

(2) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص180-181.

(3) Abraham. Parsons, Travel in Asia and Africa, London, 1808, p. 151.

(4) محمد علي الصوفي، المماليك في العراق، الموصل، 1952، ص55 ؛ تتين صادق جعفر الانصاري، العراق في عهد سليمان باشا الكبير (1780-1802)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، 1998، ص50.

(5) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص87.

(6) لونكريك المصدر السابق، ص242.

(7) سيباية: قلاع محصنة تحيط بها الاهوار من جميع الجهات بناها حمد آل حمود شيخ عشيرة الخزاعل في منطقة العادليات جنوب جنوب شرق لملوم ويحيط بها سور من الطين. ينظر: ابراهيم غانم الخزاعي، تاريخ خزاعة، ج1، بغداد، 1969، ص53 ؛ Edward Lives, op. cit., p. 250.

(8) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص ص93-94.

وفي عام 1784 عاد حمد الحمود شيخ الخزاعل الى الثورة على سلطة المماليك على الرغم من تنصيبه شيخا على الشامية والجزيرة وبناءً على ذلك قرر سليمان الكبير ان يخرج للاجهاز عليه فجهز له جيشاً كبيراً ووصل الى مكان جنوب الديوانية يقال له (لملوم) بعد ان نصب جسراً على شط الفرات إذ كانت عشيرة الخزاعل متحشدة بالقرب منه.[1]

وأخذ شيخ الخزاعل بعض التدابير ومنها شق انهر فرعية يقال لها (القرمات) وحفر الترع التي تؤدي الى منع زحف جيش سليمان باشا على عشيرته، وفي هذه الاثناء رأى حمد الحمود ان من الافضل فتح الماء في الانهر التي احدثت سيلا كبيرا من الماء[2]، مما اثر على معنويات جيش سليمان، فاضطر ان يرفع خيامه وينسحب حتى توقف في الحسكة (الديوانية حالياً)[3] (كانت تابعة الى لواء الحلة سابقاً)، وقام سليمان بإجراءات لمنع وصول المياه الى قواته، منها سد نهر الفرات من المنطقة الشمالية لغرض قطع مجراه وتحويله الى مكان اخر فاجهد الجيش بهذا العمل، وعلى الرغم من الاجراءات التي قام بها الوالي، إلا أن الشيخ حمد الحمود قام بهجوم مباغت ليلا على جند سليمان من جهات عدة [4]، وأُبلغ سليمان الكبير بان عجم محمد الكهية[5] دخل الحدود العراقية الفارسية وجاء الى الخزاعل الامر الذي اقلق سليمان وجعله يرضخ الى الامر بعد معرفته بان الدوام على الحرب لا تاتي بفائدة وربما تولد نتائج مزعجة، لذا استجاب للمفاوضات واخذ العهود والمواثيق من حمد الحمود والعشائر المتحالفة معه وابقى المشيخة في عهدته والبسه خلعة الامارة وعاد الى بغداد.[6]

ثورة الاتحاد العشائري عام 1787م

لم يتوان سليمان الكبير في ارسال حملات الترهيب ضد عشائر الفرات الاوسط وخاصة الخزاعل منهم الذين يقفون دائما بوجه الحكومة منذ زمن عمر باشا، إذ واجه سليمان الكبير ثورة عشائرية عام 1787م[7]، إذ اتفق حمد الحمود شيخ الخزاعل وثويني العبد الله شيخ المنتفك[8] وسليمان الشاوي شيخ العبيد[9] بالثورة على الحكومة، ويجب الاشارة الى ان هناك

(1) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص94.

(2) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص180.

(3) الحسكة: كلمة عربية لها عدة معان، منها مكان لنبات الحسك، سميت اخيرا بالديوانية. وادي العطية المصدر السابق، ص ص8-9 ؛ sesrni. par, op. cit., p. 233.

(4) عباس العزاوي، المصدر السابق، ص94.

(5) عجم محمد الكهية: او محمد العجمي: جاء الى بغداد من بلاد فارس، يحمل واختاه جوقا موسيقياً تقرب من الولاة المماليك حتى حتى اصبح دويدار عند عمر باشا، وفي ولاية حسن باشا هرب الى بعقوبة، وهرب الى ايران في زمن سليمان باشا الكبير 1780، يراجع: عثمان بن سند البصري، مطالع السعود باخبار الوالي داود، بغداد، دت، ص ص17-41.

(6) مؤيد احمد خلف الفهد، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية 1750-1869، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، 2002، ص67.

(7) علاء نورس، المصدر السابق، ص153.

(8) المنتفك: اصل الكلمة هو الاتفاق أو المتفق ثم حورت الى المنتفق وهي قبيلة قدمت من الحجاز اوكلت زعامتها الى آل السعدون السعدون واتخذت من سوق الشيوخ مقراً لها. ينظر: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج4، لندن، د.ت، ص12 وما بعدها ؛ Mig. Man, Robert travelin challdea, A jurney from Bussrah to Baghdad and Hilla and Babylon, London, 1828, p. 27.

(9) العبيد: هذه العشيرة من زبيد الاصغر الذي يرجع نسبها الى قحطان، وكان اشهر رؤوسائها شاوي بن نصيف من البوشاهر عاش عاش في اوائل القرن الثاني عشر الهجري وتتقسم على بطون وأفخاذ عدة. ينظر: عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العراق ابان عهد المماليك 1749-1831، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة القاهرة، 1976، ص203.

هناك صدامات حدثت بين احمد الكتخدا[1] وسليمان بيك الشاوي شيخ العبيد كان نتيجتها فرار الاخير الى مناطق الفرات الاوسط واخيرا التجأ عند شيخ المتنفك ثويني العبد الله، وعلى العادة العربية المشهودة تمت ضيافته عند ثويني العبد الله وتمت كذلك مراسلة شيخ الخزاعل حمد الحمود واتفقوا على الاتحاد والانضمام الى الثورة العربية في الفرات الاوسط، فوافق حمد على ذلك وجمع عشيرته وعد العدة لملاقاة الاعداء واعلنوا رؤساء العشائر الثلاثة الاتحاد العربي العشائري واعلنوها ثورة عربية عارمة هزت كيان دولة المماليك[2]، وعندما سمع سليمان الكبير اخبار هذا الاتحاد لم يقف مكتوف الايدي انما جهز جيشا كبيرا مجهزاً بالأسلحة والعتاد واردفه بقوات من جيش اكراد درنه وباجلان ومنطقة البابانيين[3] واستعان كذلك ببقايا قوات الانكشارية في الموصل[4]، واصبح تعداد جيش المماليك ما يقارب ستة الاف مقاتل بين فارس وراجل.[5]

وفي اواسط تشرين الاول 1787م تحركت القوات الحكومية بقيادة سليمان الكبير ودخلوا الحلة وبعد ان ارتاح الجند خرجوا حتى وصلوا الحسكة فوجدوا الخزاعل مستعدين للمواجهة وعلى رأسهم الشيخ حمد الحمود، فدارت بين الطرفين معركة كبيرة غير متكافئة بسبب تفوق القوات الحكومية في العدة والعدد وتمت محاصرة الخزاعل في قلاعهم (السيباية) وقتل عدد كبير منهم وهرب الباقون وعلى رأسهم حمد الحمود ليلحقوا برؤساء العشائر في المنتفك.[6]

وعندما وصلت القوات الزاحفة نحو المنتفك دارت معركة طاحنة في 25 تشرين الاول عام 1787 م في مكان يسمى (ام الحنطة)[7] اسفرت هذه المعركة على تغلب قوات سليمان الكبير المدربة تدريباً جيدا والمنظمة تنظيماً عسكرياً ايضا واستولت على الذخائر والمعدات العشائرية، وانهزم قادة الحلف العشائري (الشاوي وحمد وثويني العبد الله) لتبدأ صفحة جديدة من الانتفاضات والثورات العشائرية.[8]

وبعد هذه الانتصارات التي حققها سليمان عاد الى بغداد بعد ان امر بخلع حمد الحمود من مشيخة الخزاعل وعين محسن الحمد مكانه وعين حمود الثامر على مشيخة المنتفك بعد ان خلع ثويني العبد الله، اما الشاوي فقد بقى فاراً مدة من الزمن ثم طلب العفو من سليمان فأعطاه ما أراد واعيدت له املاكه على ان يخضع للإقامة الجبرية في مقاطعاته الواقعة غرب بغداد[9].

من ذلك يتبين كيف كان المماليك يتعاملون مع العشائر العراقية الثائرة إذ انهم كانوا يضربون الشيخ باخيه او عمه مكرسين شعارهم (فرق تسد).

---

(1) الكتخذا: كلمة ايرانية تعني الامين والموظف الكبير، ثم الوزير الاول لكل شيئ في ولاية الحكومة أي (نائب الوالي). ينظر: جاسم حسن شبر، تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم، النجف، 1965، ص124.

(2) عثمان بن سند، المصدر السابق، ص223 ؛ علاء نورس، المصدر السابق، ص54.

(3) البابانيون: من الاسر الحاكمة في السليمانية (باجلان سابقاً) شمال العراق في اواخر القرن السابع عشر، واتخذوا من منطقة بشدر مركزاً لهم، ووصلوا أوج قمتهم عام 1703 عندما تولى (بكربك) منصب الامير. ينظر: ثامر عبد المحسن العامري، معجم القبائل والاسر والطوائف في العراق، بغداد، 2001، ص35 ؛ جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق المظلمة، ج1، بيروت، 1971، ص20.

(4) ياسين العمري، غاية المرام في تاريخ بغداد، دار السلام، بغداد، 1968، ص ص190-191.

(5) يعقوب سركيس، مباحث عراقية، ج1، بغداد، 1948، ص ص70-72.

(6) علاء نورس، المصدر السابق، ص156.

(7) ام الحنطة: وهي منطقة قريبة من سوق الشيوخ في الناصرية وهناك مقاطعة تحمل الاسم نفسه قريبة من قضاء الخضر في السماوة. ينظر: تايلر، رحلة تايلر الى العراق 1789-1790، ترجمة: بطرس حداد، مجلة المورد، ع1، م11، بغداد، 1982.

(8) احمد جودت، تاريخ جودت، ج3، استبول، دت، ص232.

(9) علاء نورس، المصدر السابق، ص157.

استمرت انتفاضات العشائر وتمردها، لاسيما عدم تسديدها الضرائب والرسوم المترتبة عليها، ففي عام 1792م امتنع شيخ الخزاعل عن دفع الضرائب المترتبة على عشيرته ومنها الميري والمعينات، واخذ يماطل لمدة من الزمن واخيرا اعتذر عن الدفع الامر الذي دفع الوالي الى ان يوجه امره الى كهيته احمد الكتخذا بتشكيل قوة كافية لمعاقبة شيخ الخزاعل، فخرجت القوات من بغداد مخترقةً لواء الحلة حتى وصلت الى الحسكة (الديوانية) واقام مع قواته بالقرب منها وبدأ باتخاذ التدابير اللازمة لمحاصرة شيخ الخزاعل مع قواته.(1)

بدأ احمد الكهية بقطع الماء والغذاء عن الحسكة ومحاصرة الخزاعل لمدة من الزمن لذا وجد شيخ الخزاعل انه لا طريق له للخلاص سوى التسليم والاذعان للطاعة، فركن لهما حينما ارسل وساطة من العشيرة طالبا العفو، وتعهد بتسديد ما هو مطلوب من ضرائب وميري، فقبل الكتخذا بهذه الوساطة وسامح شيخ الخزاعل على ان يستوفي الرسوم والضرائب لمدة سنة واخذ منه الرهائن وابقاه في مشيخته.(2)

ان الاذعان والطاعة التي ابداها شيخ الخزاعل محسن المحمد لم تكن في صالحه، إذ تشتت انصاره ونفر قسم كبير من اتباعه لانهم رأوا ان دفع الضرائب وتنفيذ مطالب الحكومة مثقلة بالنسبة لكاهلهم لذلك مالوا الى المعارضة بقيادة الشيخ الاصلي حمد الحمود وعرضوا عليه رفضهم الشيخ محسن المحمد فوافق على ذلك وانظموا تحت لوائه مما ادى الى عزل محسن المحمد وتوجيه المشيخة الى حمد الحمود وأرسل له كتاب المشيخة مع الخلعة.(3)

وفي عام 1793 عاد حمد الحمود الى الثورة من جديد فجهز له الوالي حملة بقيادة الكتخذا علي باشا بصحبة قوة كبيرة فسلكت الحملة طريق لواء الحلة حتى وصلت الى الديوانية وعندها تحصن الشيخ حمد الحمود في (سيبايتهِ) مع عشيرته إلا أن علي باشا تمكن من كسر هذه التحصينات وضيق عليه الخناق من جوانبه الاربعة حتى اضطر الشيخ حمد إلى ارسال بعض الوساطات والشيوخ للتدخل وطلب العفو.(4)

لم يقبل علي باشا بهذه الوساطات وامر بمهاجمة حمد الحمود من جميع الاطراف حتى اشاع الذعر في صفوف الخزاعل وتفرقوا وانهزم الشيخ حمد بعد ان جرح في المعركة، ونهبت ديارهم واموالهم وذهبت الغنائم لجيش علي باشا، وبعد هدوء المعركة ارسل علي باشا الى شيخ الشامية محسن الغانم وشيخ الجزيرة سبتي المحسن فاحضرهما اليه وطلب من كل منهما ان يؤدي كميات من الحبوب واموال كثيرة بعدها جعل سبتي المحسن شيخاً على الخزاعل في الجزيرة ونصب محسن الغانم شيخا على الخزاعل في الشامية واكساهما الخلع واستوفى منهما الغلال والنقود ثم عاد الى بغداد.(6)

لم يهدأ الخزاعل في انتفاضاتهم انما ازداد نشاطهم كلما ضعف المماليك، ففي عام 1800م قام الخزاعل بالنهب والسلب للطرق التي تمر منها قوافل الحكومة وان قسماً من هذه العشيرة (آل سلمان) قاموا بانتفاضة كبيرة على حكم المماليك حتى اضطر سليمان الكبير الى تجهيز جيشاً كبيراً بقيادة الكتخذا احمد اغا وتحركت هذه القوات من بغداد مدججة بأحدث الاسلحة ومرت بلواء الحلة ووصلت الى منازل عشيرة الخزاعل، واستمر الكتخذا بالسير حتى وصل الى قلعة السلمان التي اتخذها الخزاعل مسكناً لهم معتمدين على تحصناتها القوية.(7)

ومن الجدير بالذكر ان الخزاعل كعادتهم عملوا القرمات أي الجداول وفتحوا فيها الماء التي استعملوها موانع وعراقيل ولكن الجيش المهاجم وضع لها جسورا للعبور الى الخزاعل، واستعمل الكتخذا احمد الوسائل كلها من اجل الوصول الى

(1) يعقوب سركيس، تاريخ البصرة والمنتفق، مجلة (لغة العرب)، المجلد الرابع، السنة التاسعة، 1927، ص511 ؛ محمد حسن علي مجيد، انتفاضة سنة 1787 العربية الثلاثية ضد حكم المماليك، مجلة (آفاق عربية)، العدد الاول، تموز 1979، ص9-10.

(2) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص ص112-113.

(3) الخلعة: تعني بزة الشرف. لوتكريك، المصدر السابق، ص423.

(4) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص120.

(6) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص ص120-121.

(7) عثمان بن مسند البصري، المصدر السابق، ص ص156-158.

قلعة السلمان حتى تمكن من تحقيق غايته، اما الخزاعل فتجمعوا بقوة كبيرة في قلعتهم ولكن عند وصول الجيش المملوكي باعداده الكثيرة المدججة بانواع الاسلحة، ارهبهم ذلك الجيش بكثرته واستولى على نفوسهم الخوف فهجروا القلعة وعبروا الى منطقة لملوم وعملوا المتاريس والتحصينات.[1]

فيما تابع جيش سليمان الملاحقة وعمل على وضع الجسور والسدود لقطع الماء والوصول لهم بكل الوسائل واحاط بهم الجيش من كل جانب وحدثت معركة كبيرة استمرت يومين لم يصمد فيها الخزاعل حتى اضطروا للانسحاب ليلا مستخدمين (الارض المحروقة) إذ قاموا بحرق بيوتهم وبعض اثاثهم لئلا يستفيد منها العدو او تذهب لهم غنائم، وهربوا الى الهور الذي وجدوا فيه ملاذاً امنا[2]، وتمكن جيش سليمان من السيطرة على منطقة الخزاعل (لملوم) واخذ منهم اطنان (تغارات) من الشلب (الرز) واموالا اخرى ارسلت كلها بواسطة السفن الى الوالي في بغداد.[3]

ولم يستكين جيش سليمان الكبير حتى انه قطع الماء عن الاهوار التي لجأ اليها الخزاعل وقام بسد المياه عن الهور لمدة شهر، اخيراً وجد شيخ الخزاعل انه لابد من الاذعان وطلب العفو فتقدم الى احمد الكتخذا طالبا العفو فتم ذلك مع دفع الرسوم والضرائب لتلك السنة. ومن الجدير بالذكر ان هذه الحملة استمرت ثلاثة اشهر وبضعة ايام.[4]

في عام 1802 تعرض سليمان باشا الكبير الى الارهاق الجسمي والتعب المفرط نتيجة الغزوات والحروب التي قادها سواء أكان على العشائر العراقية ام مع عدوه الوهابيين القادمين من نجد [5] ولهذا اصيب بمرض المفاصل المزمن وقد لازمه لمدة 50 يوما واشتد عليه وانحطت قوته. وقبل وفاته جعل صهره علي باشا خليفة له والذي كان يشغل كتخذا في زمن سليمان باشا، وبعد وفاته بايام حدثت صدامات على الباشوية بين المماليك انفسهم، وعلى اية حال اصبح علي هذا واليا على بغداد في العام ذاته أي في عام (1802) وكالعادة التي توارثها المماليك انصب نظره نحو العشائر العراقية ومنها عشائر الفرات الاوسط لغرض اخماد ثوراتها فبعد غاراتهِ على القبائل الشمالية، توجه لردع عشيرة الخزاعل.[6]

وفي عام 1803 م عندما كان الوالي الجديد علي باشا مشغولا بالحركات والثورات العشائرية في العراق، جرد حملات لردع عشيرة الخزاعل لذا مالت العشائر والمواطنون الساكنون في مركز لواء الحلة لمساعدة عشيرة الخزاعل مما دفع متصرف الحلة انذاك محمود اغا السفاك[7] الذي كان ظالماً وفتاكاً إذ عرف عهده بالظلم وسلوكه بالتعسف والجور[8].

فانزل بأهل الحلة قتلاً وفتكا، فقتل منهم اعدادا كبيرة وأسر اخرين ووصف احد الادباء الحليين هذه الواقعة بقوله[9] ((... فأتوا باعيانها مقرنين بالاصفاد بلا راحة ولا زاد، كأنهم اسارى بين الاجناد، من دار السلام بغداد الى شر العباد، واضيعهم للرشاد، ففعل بهم فعل من لا يقر بالمعبود ولا يعترف باليوم الموعود، من تسمى بعكس اسمه محمود، فهدمت

(1) عدنان حسن محبوبة، مقاومة العراقيين للنفوذ الاجنبي 1750-1831، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، 1990، ص82.

(2) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ص139.

(3) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص217.

(4) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص140.

(5) عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، المصدر السابق، ص97.

(6) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص217-218.

(7) محمود اغا السفاك، حكم الحلة بعد وفاة مراد الجلبي بحدود عام 1804م ينظر: محمد حسن علي مجيد، ولاة الحلة وحكامها، المؤرخ العربي (مجلة)، بغداد، ج2، 1980، ص264.

(8) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص135.

(9) داود سليمان، مجموعة السيد سليمان، مخطوطة باليد محفوظة في مؤسسة كاشف الغطاء، النجف، د.ت، ورقة 91.

الدور وهتكت الستور وصرنا على خلقه غيور، فاخذ اخذ عزيز مقتدر...حتى سلط الله عليه من قتلة شر قتله...))[1]، وهكذا نجد ان سياسة المماليك تجاه العشائر تميزت بالقسوة واذلال الناس واستخدام شتى صنوف التعذيب ضدهم، كالضرب بالسياط والخنق والاغراق وغيرها[2].

وقد بدت رنة الحزن في قصائد الشعراء الحليين الذين عبروا في شعرهم ما نزل بمدينة الحلة واجتياح المماليك لها[3]، وفي اثناء غارات الوالي علي باشا على العشائر الشمالية وحربه مع الوهابيين استغل شيخ الخزاعل تلك الفرصة فاعلن خروجه عن طاعة الوالي وتمرده على الحكومة. فجرد له علي باشا حملة كبيرة عام 1804م خرج بها من بغداد وسار نحو الحلة حتى انضم اليه متصرف كوى الشمالية محمد باشا، وعبد الرحمن باشا وخالد الكهية ورئيس كتيبة المشاة باشا اغا[4]. اغا[4].

سارت الحملة حتى وصلت الخزاعل الذين تحصنوا في (هور شلال)، وبعد محاصرة الحكومة لهم هرب شيخ الخزاعل وعشيرته الى الشامية في حين سيطر جيش حكومة المماليك على بيوتهم والتي عملوا على تخريبها، وبعد هذا الانتصار عاد علي باشا الى بغداد تاركا خالد الكهية ورئيس كتيبة المشاة باشا اغا ومتصرف كوى الشمالية في الحلة للمحافظة على الامن ودامت حملته تلك اربعة اشهر ونصف[5].

يبدو ان الاوضاع العامة للمماليك قد تضعضعت بل وضعفت بعد وفاة سليمان الكبير 1802م لان ما ترك الوالي من خلافات حول الحكم في بغداد جعلت اتباعه يتقاتلون من اجل الوصول الى كرسي الحكم وعليه قتل علي باشا وبعده قتل حالت افندي وكذلك قتل الوالي عبد الله باشا واخيرا آلت الحال الى سعيد باشا الذي تولى حكم بغداد عام 1813م، وهو الابن الاكبر لسليمان باشا الكبير، وكان عمره 12 عاما عند وفاة والده.[6]

سعيد باشا وعشيرة الخزاعل

يبدو ان عشيرة الخزاعل في الفرات الاوسط لها باع طويل في التمرد تارة وفي الانتفاضات والثورات تارة اخرى، فتوالت ثوراتهم على مر السنين ولم يات والٍ يجري معهم صلحا او يجعل لهم في الدولة شأناً حتى يذعنوا له او يتقربون منه، والوالي الجديد سعيد باشا على معرفة مسبقة بمواقف عشائر الفرات الاوسط.[7]

وفي عام 1814 اعلن شيخ الخزاعل العصيان على حكومة المماليك الجديدة واعد العدة وجهز العشيرة بالأسلحة والمواد الغذائية وسمع الوالي سعيد باشا بهذا الخبر، فجهز له جيشا كبيرا دخل فيه لواء الحلة ومكث فيها اياما، ويظهر ان اخبار الاستعدادات العسكرية لعشيرة الخزاعل قد ارهبت الوالي حقا لان مكوثه في الحلة يدل على خوف من الانكسار، فضلاً عن سوء الادارة العسكرية لقواته، وتخلخل جيشه فوجد الوالي سعيد باشا ان هذه الحملة لا تتناسب واستعدادات عشيرة الخزاعل لذا فضل المكوث في الحلة[8].

---

(1) من مقالات داود السيد سليمان الحلي، وهو جد الشاعر حيدر الحلي، لمزيد من التفاصيل عن هذه الواقعة ينظر: محمد حسن ال ال كاشف الغطاء، العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، مخطوطة، محفوظة في مؤسسة كاشف الغطاء، النجف، ورقة 93.

(2) Layard. Henry, Early Adventures in Persian Usiuno and Babylonia, London, 1984, p. 299

(3) محمد علي اليعقوبي، البابليات، ج2، النجف، 1954، ص49-50.

(4) اغا: كلمة تركية تعني سيد او موظف من الدرجة الوسطى (العالية احيانا) وقد يكون عسكريا او ملكيا او مستخدما في بيت عظيم الشأن. لونكريك، المصدر السابق، ص423.

(5) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص163.

(6) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص124.

(7) علاء نورس، المصدر السابق، ص148.

(8) عثمان بن سند البصري، المصدر السابق، ص176 ؛ عدنان حسن محبوبة، المصدر السابق، ص95.

بعث شيخ الخزاعل برسائل الى الكتخذا من اجل المصالحة وتعهد بالطاعة ودفع الضرائب وقد اعزى بعض المؤرخين هذا التصرف بانه يرجع لاهل العقد والحل ((... ان الكتخدا وسائر اهل العقد والحل ارادوا ان يستروا عيوب الولاية والجيش فاتخذوا الروية وراسلوا شيخ الخزاعل))[1]

ساد رأي عام في عشائر الفرات الاوسط وخاصة شيخ الخزاعل، ان سعيد باشا لم يتمكن من الوصول الى الحلة وانه لم يعد العدة ولم يتمكن الوصول الى الخزاعل مما ادى الى خذلانه وقلة سطوته وعدم التأثير على العشائر الاخرى، فاخذت عشائر الفرات الاوسط بما في ذلك عشائر الجزيرة والشامية يتعرضون بالمارة ويقومون باعمال شغب وعصيان وتمرد على الحكومة وامتنعوا من دفع الرسوم والضرائب الحكومية ومن هذه العشائر الخزاعل وشمر والجبور. [2]

وان هذه العشائر صارت تشن غارات على مركز لواء الحلة والقصبات المجاورة حتى وصلت الى بغداد والكاظمية والكرخ، لذلك ضج الناس واصابهم الخوف فوصلت الحالة الى الوالي سعيد باشا. [3]

ان مازاد من خطورة تلك الحالة ان اربعين الفا من الزوار الفرس، وكان معهم حرم الشاه الفارسي قد حاصرهم الخزاعل والعشائر الاخرى في كربلاء واصبحت اموالهم وارواحهم في خطر، فعندما اراد الزوار الخروج من كربلاء الى النجف وجدوا انفسهم محاطين من جميع الجهات مما تعذر خروجهم من كربلاء، الامر الذي دفع خدام الحضرة المقدسة ان يخبروا الوالي بهذه المشكلة إلا ان الوالي لم يتخذ أي اجراء من شانه تخليص الزوار. [4]

ونتيجة لضعف ولاة المماليك في تلك المدة ولخوفهم من الدولة الفارسية من اتخاذ هذه المشكلة ذريعة لتهديد العراق، لذا ذعر الوالي سعيد باشا خشية ان يصاب الزوار باذى ويخضع لمسائلة الباب العالي. [5]

ان التهاون فضح سياسة سعيد باشا وأظهر سمعة غير لائقة لدولة المماليك عجزها لذا الح عليه اركان حكمه القيام بتدبير ناجح من اجل حل القضية، لذا احال هذه المشكلة الى احد قادة جيشه وهو داود الدفتري[6]، الذي اصبح واليا على بغداد فيما بعد [7].

جهز داود جيشا كبيرا وسار به الى الحلة وهناك مكث وقواته عدة ايام، ويذكر ان كثرة العشائر وازدحامها في كربلاء والنجف جعلت داود يفكر بزيادة وتسليح قواته حتى يقال ان كثرتها كانت تعادل اضعاف الجيش المملوكي.[8] وعندما سمعت تلك العشائر ومنها الخزاعل باعداد الجيش وقائده داود، استولى الرعب على قلوبهم من تلك الجهات التي كانوا يتمركزون فيها.[9]

ويرى بعض المؤرخين "ان داود ارسل الى العشائر بعض من جيشه الأكفاء فاستطاع ان يضرب العشائر المتمردة ضربات قوية مزق بها شملهم، مما جعل الزوار يخرجون من كربلاء ثم ارسل من يحرسهم في سفرهم الى النجف ثم الى الكاظمية
فايران...".[10]

---

(1) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص260-261.
(2) المصدر نفسه, ص222.
(3) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص261.
(4) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص133 ؛ ابن سند البصري، المصدر السابق، ص283.
(5) عثمان بن سند البصري، المصدر السابق، ص162.
(6) الدفتري (الدفتردار): كلمة تركية تعني رئيس موظفي الواردات والخزينة في الولاية. لونكريك، المصدر السابق، ص424.
(7) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص223.
(8) علي الوردي، المصدر السابق، ص225.
(9) عبد الرحمن السويدي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق صفاء خلوصي، ج1، بغداد، 1962 ص112.
(10) علي الوردي، المصدر السابق، ص225.

اما البعض الاخر من المؤرخين فذكر "...ان داود لا يحتاج محاربة الخزاعل وغيرهم من العشائر لانهم تفرقوا حالما سمعوا بانباء جيش داود وانه لم يجرد سيفا...". [1]، " وانه ارسل من بغداد بعض جنوده لتخليص المحجوزين فجاء بهم الى الى الحلة ثم ذهبوا الى النجف وعادوا الى الحلة فبغداد ثم ذهبوا الى بلادهم من دون ان ينالهم خوف او يصيبهم ضرر..."[2]

يبدو من خلال وجهتي النظر السابقتين ان قوة داود وعزمه على محاربة العشائر بشكل فوري وغير قابل للمجادلة جعل بعض التكتلات العشائرية في الحلة وكربلاء تنهار بمجرد علمهم قدوم جيش داود لذلك من المحتمل ان اكثر العشائر قد فرت من كربلاء كما حدث للخزاعل، اذ هربوا الى الحسكة كما سنرى لاحقا.

وفي بداية عام 1815م لاحق داود عشيرة الخزاعل في عقر ديارهم (الحسكة) ونزل عليهم كالصاعقة التي اصابت نفوسهم، لذا اذعن شيخهم للطاعة والانصياع لاوامر داود في دفع ما عليه من الضرائب والميري.[3] اما داود فقد عاملهم ورئيس عشيرتهم محسن الغانم بالحسنى وجاء به الى بغداد واكرمه، واستمرت حملته تلك ما يقارب ثلاثة اشهر.[4]

تدهور العلاقة بين الخزاعل وعشيرة العبيد

عندما ذهب جاسم بيك الشاوي شيخ العبيد الى الخارج ايام حكم عبد الله باشا على بغداد، وفي طريقه حاول المرور بعشيرة الخزاعل ليسلم على شيخها سلمان المحسن، ومن واجب الاخير ان يقوم له بالحفاوة والترحيب ولكنه كان عكس ذلك، لان شيخ الخزاعل يعرف جيداً مدى علاقة الشاوي بالمماليك وكيفية تعاونه معهم، ولذلك اضمر له الغيض الذي أظهره فيما بعد.[5]

يبدو ان هناك خلافاً بين بعض رؤساء العشائر في الخزاعل ومنهم عباس الفارس وسلمان المحسن، فكتب الفارس الى بغداد يعلم الوالي ان سلمان المحسن اخذ يعبث في البلاد[6] وهذا ما كان ينشده الحكام المماليك لانهم كانوا يضربون الشيخ بالشيخ والاخ بالاخ.

وعمل جاسم بيك الشاوي على اشعال فتيل الفتنة بين سلمان المحسن والوالي، الامر الذي جعل الاخير يجهز حملة عسكرية لملاقاة الخزاعل حتى وصلت القوات الى الحسكة، ونتيجة لضخامة هذه الحملة فان شيخ الشامية اضطرب وفر بعشيرته الى الصحراء وهرب كذلك سلمان المحسن الى الاهوار وتحصن بها حتى انه سكن لملوم وسيباية فحاصره الوالي ايام عدة، وأتلفت مزارعهم ونهب مواشيهم ولكنه لم يتمكن من الوصول الى السيباية في محاولة منه للاستيلاَء عليها، ولكن شدة الحصار ونفاذ المؤن جعل شيخ الخزاعل يترك المنطقة مما ادى الى تفرق شمل عشيرته.[7]

وعندما تولى داود باشا الحكم في بغداد اواخر شباط 1817م كانت اهم مشكلة واجهها في السنة الاولى من حكمه هي مشكلة العشائر التي عانى من معالجتها عناءً شديدا كادت تقضي عليه لولا مساعدة الظروف له.[8]

وورث داود باشا مجتمعا اثر عليه التنازع على الحكم بين المماليك، إذ اضعفهم القتال وانهكتهم الاحداث، وقد انتهزت العشائر العراقية عامة وعشائر الحلة خاصة هذه الفرصة فاخذت تسيطر على طريق القوافل وتفرض الاتاوات، ويغزو بعضها البعض مما جعل المجتمع العراقي يرزح تحت وطأة التحكم العشائري الى درجة لا تطاق.[1]

---

(1) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص133.

(2) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص223.

(3) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص262 – 263.

(4) المصدر نفسه، ص263.

(5) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص226.

(6) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص264.

(7) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص226.

(8) علي الوردي، المصدر السابق، ص240.

ففي عهد داود باشا اذعن معظم العشائر من تلقاء انفسهم الا بعض عشائر بغداد، إلا ان عشيرة الخزاعل من العشائر التي لا يعرف لها نشاط في تلك المدة، لان داود اصدر امرا وجهه الى العشائر العراقية كافة يمنعهم من الغزو لبعضهم البعض (لانهم مسلمون والاسلام يحرم الغزو تحريما قاطعا...).[2]

ثانيا: عشيرة زبيد [3]

ان العقلية العثمانية التي تحكم البلاد العربية وخاصةً العراق كانت تنظر الى القبائل العراقية على انها وحشية همها النهب والسلب، إلا ان هذه القبائل تعيش على فطرتها لعدم وجود من يوجهها الوجهة الصحيحة ومن يعمل على رفع مستوى معيشة افرادها ولذلك لجأوا الى هذه الاعمال التي عدها المماليك تمرداً. [4]

ومن نتائج الاحداث في بغداد انه لم يدم حكم عبد الله باشا والياً على بغداد غير سنتين ونصف السنة تقريبا (1811 – 1813) م، وقضى تلك المدة خائفا من سعيد بيك لان الكثير من المماليك يميلون الى سعيد بيك وانصاره ولاسيما انه ابن سيدهم سليمان بيك الكبير. [5]

وعندما لجا سعيد باشا الى عشائر المنتفك ضيفه حمود الثامر واقام عنده، وساعده في اثناء قتاله من اجل الوصول الى الباشوية، حتى تمكن ان ينال كرسي الحكم المملوكي في بغداد عام (1813–1816)[6] وخلال تلك المدة بلغ سعيد بيك الثامنة والعشرين من العمر ولم يكن قبل ذلك قد مارس الحكم لانه كان مترفاً كونه ابن والي بغداد سليمان الكبير، لذا صار امر الوالي الجديد بيد من اوصله الى كرسي الحكم (حمود الثامر)، إذ كان يوجهه كيفما يشاء ولذلك ترى ان حمود الثامر انيطت له حكومة البصرة وما حولها. [7]

في الوقت ذاته كانت منطقة الفرات الاوسط تعج بالفوضى، إذ اعلنت عشائر زبيد العصيان، لذلك امر سعيد باشا بتجهيز جيش كبير بقيادة داود اغا (زوج اخته) والذي تمكن ان يضرب العشائر الثائرة ومنهم عشيرة زبيد الحلية وامر الوالي بعزل شيخها وعين مكانة (شفلح الشلال) شاف الله. [8] الذي تعهد بتامين الطرق وحراستها[9].

---

(1) امين المدني، خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق، 1188هـ – 1242 هـ، القاهرة، 1371هـ، ص130.

(2) علي الوردي، المصدر السابق، ص241.

(3) عشيرة زبيد: من العشائر العراقية المعروفة بكثرتها ومكانتها، وهي من العشائر القحطانية، منتشرة في مواطن عديدة، وتاريخ ورودها الى العراق يرجع الى أوائل الفتح الاسلامي، وان اصلها من اليمن وسكنت المنطقة الواقعة بين المسيب والحلة، وأهم بطونها الجحيش والبوسلطان وغيرهم. ينظر: عباس العزاوي، عشائر العراق، ج3، ص30–197؛ أديب عبد الله النوايسة، المعجم الشامل للقبائل العربية والامازيغية، ج2، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2007، ص584–585.

(4) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص134.

(5) امين المدني، المصدر السابق، ص120.

(6) احمد علي الصوفي، المماليك في العراق، الموصل، 1952، ص141.

(7) علي الوردي، المصدر السابق، ص225.

(8) شفلح الشلال (شاف الله) شيخ عشائر زبيد العربية الساكنة في الفرات الاوسط. ينظر: وادي العطية، المصدر السابق، ص27.

(9) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص223.

ان اخر من تولى ولاية بغداد من المماليك هو داود باشا (1817–1831 م) وكان داود يحب العلم والعلماء وكان مثقفا إلا انه سار على خط اسلافه من الولاة المماليك فلم يعتن برسم خطة اصلاحية تحول القبائل الى حياة مستقرة وكانت ولايته على العراق فيها الكثير من المنازعات والمشاكل العشائرية. [1]

اتبع داود سياسة المماليك التقليدية نحو العشائر العربية وهي ضرب عشيرة باخرى وحاول ان يقنع العشائر بالكف عن الغزو والتزام الهدوء دون جدوى، واستمرت حوادث القتال ضد العشائر طوال ايام حكمه.[2]

ولو القينا نظرة سريعة على المعارك التي دارت بين داود باشا والعشائر الفراتيه التي ملأت احداثها كل سنة من سني حكمه الخمس عشرة لقدرنا ان المشكلة العشائرية كانت في ايامه اقوى من ان تحلها العصبية المملوكية ولا شك ان حاجة المماليك الى القوات العشائرية كانت عاملاً رئيسا في ان يستمر الشيوخ متمتعين بسيادة شبه مطلقة على عشائرهم[3].

وابتدأ داود باشا مشوار حكمه بالاجهاز على عشيرة زبيد، وبناءً عليه جهز لهم جيشاً كبيراً دخل فيه الحلة عام 1817 وتمكن من السيطرة على منافذ العشيرة الرئيسة وضيق الخناق عليهم، وفي هذه الحملة غنم منهم أموالاً كثيرة وحيوانات وامر بعزل شفلح الشلال شيخ زبيد.[4]

فرار صادق بيك[5] الى عشيرة زبيد

كان لوفاة سليمان بيك في (17 اب 1802)[6] اثر كبير في تفكك حكومته، إذ وصفها احد المؤرخين بانها "وصلت الى درجات التفكك والغباء"[7] وترك الباشا ثلاثة اولاد صغار هم سعيد وصادق وصالح[8].

وبعد مرور اكثر من خمسة عشر عاما أي في عام 1818م. بينما كان داود باشا منهكا في صد الغارات الفارسية على الحدود العراقية، اذ ان الفرس كانوا يهدفون الى احتلال بعض مناطق العراق وخاصة بغداد وبعض العتبات المقدسة ووجهوا لها ثلاث جيوش جاء احدها من جهة السليمانية بقيادة محمد علي اغا البياتي والثاني من جهة مندلي بقيادة حسن خان الفيلي، والثالث من جهة بدرة وجصان بقيادة صهر علي خان وكلب علي خان.[9]

واصبح صادق يرنو الى كرسي الباشوية وهذا من حقه لانه يعلم جيدا انه ابن والي بغداد سليمان الكبير، ولذلك كان يأمل ان يكون واليا على خط ابيه، إذ مال ميلا شديدا للحكم وقد شجعته تلك التحرشات الفارسية على الحدود التي ادت حتماً الى ضعف حكومة بغداد[10] وفي احدى ليالي شهر تشرين الثاني 1818م فر صادق الى عشيرة زبيد واتجه الى شفلح الشلال شيخ زبيد[11]

(1) المصدر نفسه، ص ص251– 252.
(2) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، 1968، ص24.
(3) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص24.
(4) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ص224.
(5) صادق بيك احد اولاد سليمان باشا الكبير المتوفى عام 1802 في بغداد. لمزيد من التفاصيل. ينظر: جون غوردن لوريمر، دليل الخليج (القسم التاريخي)، ج4، ترجمة مكتب الترجمة في قطر، 1967، ص1904.
(6) علاء نورس، المصدر السابق، ص59.
(7) لوريمر، المصدر السابق، ص ص1904–1905.
(8) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص218.
(9) احمد جودت، المصدر السابق، ج3، ص31.
(10) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص284.
(11) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص252.

يبدو ان هذا الشيخ ذو الشهامة العربية المعهودة رحّب بلجوء صادق بيك[1] ثم ما لبث ان انظم لهم جاسم بيك الشاوي الشاوي شيخ العبيد الذي كان قد اصدر عليه داود باشا فرمانا بقتله والتجا الى عشيرة الخزاعل وسكن معهم فعاهدوه وساندوه وجمعوا له مقاتلين من العشائر المجاورة وصار الالتفاف حول صادق بيك اشبه بالاتحاد العشائري، فحرضته تلك العشائر القيام بثورة ضد حكومة بغداد، وكانت باكورة اعمالهم ان اخذوا يشنون الغارات على القرى والمدن ويقطعون الطرق، لاسيما النهرية منها التي تربط بغداد والبصرة وصاروا ينهبون كل ما وقعت ايديهم عليه من معدات ومؤن للحكومة.[2]

ومن الجدير بالذكر ان داود باشا اعد حملة كبيرة بقيادة الكتخذا احمد اغا الى كركوك لصد القوات الفارسية المرسلة لمعاونة محمود الباباني ولكن فرار صادق بيك الى عشائر زبيد جعل داود ان يوقف هذه الحملة ووجهها نحو العشائر الفراتيه.[3]

ولضخامة هذا التجمع العشائري فضلا عن الأسباب التي مرت، لجا داود باشا الى الطرائق الدبلوماسية لحل ازمة صادق بيك وذلك بان سلط على الشيخ شفلح الشلال شيخ زبيد اولاد عمه وهم علي البندر وشبيب الدرويش واوعدهم بالمشيخة بدلا من شفلح، وارست المشيخة نحو علي البندر الذي التف حوله بعض المقاتلين من عشيرة زبيد والعشائر الاخرى، وعمل البندر على شق صفوف العشائر الثائرة حتى تقابل الخصمان جنوب الحلة في مكان يقال له (خشيخشة)[4] (خشيخشة)[4] فشتت شمل العشائر المقاومة للحكومة وهرب شفلح الشلال وجاسم بيك الشاوي وصادق بيك الى عفك ولجأوا ولجأوا الى شيوخها وتحصنوا بالاهوار[5].

وبقى الوضع مضطربا في مناطق الفرات الاوسط مدة من الزمن بسبب الاوضاع الامنية التي اثارتها التحرشات الفارسية والتي اشغلت السلطة العثمانية وداود باشا، فضلا عن الاوضاع العشائرية بقيادة زبيد ومن ساندها في الاهوار، ولذا جهز لهم حملة كبيرة بقيادة احد القادة الكفوئين وهو عبد الله اغا واردفها بسرية اخرى من الخيالة، إلا ان تحصنهم بالاهوار حال من دون وصول القوات لهم، وتم محاصرتهم من قبل جيش عبد الله اغا ولم تمض سوى ايام معدودة حتى قدمَّ الشيخ شفلح الشلال طلبا الى داود يتعهد فيه بالتخلي عن صادق بيك وجاسم الشاوي مقابل العفو عنه واعادته الى مشيخته، فوافق داود على ذلك وارسل اليه الخلعة مع أَمر المشيخة، وعندئذ ترك شيخ زبيد جماعته.[6]

وفي هذه الاثناء اصبح موقف صادق بيك محرجا حتى نفر منه بعض اعوانه بسبب ماكان يقوم به من اعمال، فضلاً عن رفع شيوخ عفك ايديهم من مساندته وتركوا جاسم الشاوي واتباعه، عندئذ اضطر صادق الى الهرب حتى وصل الى الحويزة ومنها التجأ الى عشيرة كعب، وبعد مدة من الزمن حصل صادق على عفو من داود باشا.[7]

اما جاسم بيك الشاوي فقد هرب الى شمال العراق ليلتجئ الى العشائر القاطنة في سنجار وقام بقيادة ثورة اخرى في تلك المناطق، وتمكن داود من القضاء عليها واخماد مشكلة صادق بيك الى الابد.[8]

ثالثا: علاقة المماليك بقبائل عنزة[9]

---

(1) علاء نورس، المصدر السابق، ص105.

(2) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص223.

(3) احمد جودت، المصدر السابق، ج11، ص32.

(4) خشيخشة: من المناطق التابعة لقضاء المدحتية في محافظة بابل.

(5) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ص253

(6) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ص254.

(7) احمد جودت، المصدر السابق، ج11، ص33.

(8) عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، المصدر السابق، ص83.

(9) عشيرة عنزة: من قبائل العرب الكبرى تنتشر في العراق وسوريا وشبه الجزيرة العربية، واصل موطنها بلاد نجد، وال سعود منهم، منهم، وال صباح وال خليفة، يرجع اصلها الى معد بن عدنان. واشهر زعمائها في العهد العثماني فهد الهذال، وامتازت بالكرم

ان عنزة قبائل بدو رحل يقطنون احيانا في سورية ويسكنون تارة في العراق ففي عام 1799 م انحدروا الى مقاطعة الطهمازية[1] في ضواحي الحلة للاكتيال، ولكنهم تطاولوا على السكان في لواء الحلة وخاصة (الدليم)[2] واخذوا ينهبون اموالهم ومواشيهم والحقوا بهم ضررا كبيرا.[3]

جهز لهم الوالي سليمان باشا الكبير جيشا كبيرا بقيادة الكتخدا علي باشا وسار به حتى وصل جسر الهندية، ولما احست قبائل عنزة بضخامة الحملة التجأوا الى قبائل القشعم[4] والرفيع الذين توسطوا لهم عند الوالي في بغداد من اجل العفو على ان يتعهدوا بإرجاع ما اخذوه من عشيرة الدليم، فعفا الوالي عنهم[5] وبعد هذه الحادثة ذهب الشيخ فاضل شيخ عشيرة عنزة الى بغداد معلنا الطاعة فاكرمه الوالي واظهر له اللطف والاحترام والبسه الخلعة[6] بعد ان وعده الشيخ فاضل بالكف عن اعمال النهب والسلب التي اضرت بالناس[7] واعطى الوالي للشيخ فاضل مهلة عدة ايام من اجل الايفاء بوعده.[8]

بعد انقضاء المهلة المقررة لم يتمكن الشيخ فاضل من السيطرة على عشيرته التي استمرت بالنهب وبقيت عابثة بالامن لذا جهز لهم سليمان الكبير حملة عسكرية قادها الكتخدا علي باشا من اجل السيطرة عليهم، وسارت الحملة حتى وصلت لواء الحلة وتحركت ليلا الى الهندية ووصلت الى الجسر الذي تمكن علي باشا من السيطرة عليه الامر الذي جعل قبيلة عنزة تضطر الى اللجوء ثانية الى قبائل القشعم والرفيع فأخفوهم في بيوتهم.[9]

وعند طلوع الفجر استقبل شيوخ ورؤساء هذه العشائر جيش المماليك واعلنوا لهم الطاعة والاذعان وتم تغريمهم ثلاثة الاف بعير وخمسين حصانا والتمسوا قبول العفو، وقد حصل علي باشا على هذه الغرامات خلال عشرة ايام وارسلها الى بغداد[10].

والطيبة والعفة، ثم هاجرت غرباً فحلّت في البادية السورية في المثلث المسمى (الحماد)، واستوطنت شرق حلب. ينظر: ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، جمهرة النسب، تحقيق الدكتور ناجي حسن، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010، ص596-600 ؛ ابراهيم فصح الحيدري، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، القاهرة، 1999، ص102 ؛ Dikson. H. R. P., The Arab of the desert, London, 1967, p. 574.

(1) الطهمازية: من ضواحي الحلة وتقع غرب المدينة.

(2) يقع لواء الدليم في الجهة الغربية من العراق، تحده الوية كربلاء وبغداد والموصل وحدوده الدولية مع الاردن وسوريا والسعودية، وسكانه هم قبيلة الدليم وهي قبيلة عربية زبيدية الاصل عربية الطباع والاصول، جدهم الجامع هو سبت بن ثامر بن مكتوم ويصل نسبه الى معد يكرب الزبيدي. ينظر: عمر ابراهيم محمد الشلال، لواء الدليم في عهد الحكم البريطاني المباشر على العراق 1917-1920، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، 2002، ص5-20.

(3) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص130.

(4) القشعم: من عشائر الاجود، وهناك تضارب في نسبها في المصادر التاريخية منهم ينسبها عدنانية، واخرون ينسبونها قحطانية، فرضت سيطرتها في القرنين الخامس والسادس عشر وامتدت الى القرن السابع عشر في مناطق واسعة من نواحي الحلة شمالاً الى السماوة جنوباً، كان أميرها ناصر بن مهنا الذي امتد سلطانه الى البصرة، واطلق عليه بـ (شيخ العراقيين)، وكانت قاعدة الامارة كربلاء وأحياناً النجف. ينظر: علي الشعيبي، آل قشعم، دمشق، 1988، ص135 ؛ مشاهدات تكسيرا في العراق سنة 1604، ترجمة جعفر الخياط، مجلة الاقلام، ج4، السنة الاولى، كانون الاول 1964، ص136.

(5) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص130.

(6) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص130.

(7) المصدر نفسه، ص130.

(8) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص212-213.

(9) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص137.

(10) المصدر نفسه، ص ص 137-138.

رابعاً- سياسة المماليك تجاه عشيرة الصقور[1]

عشيرة الصقور من قبيلة عنزة كانت تتجول في الشام وحلب وتأتي من طريق الشامية الى اطراف العراق وتتجول في الحلة والحسكة (الديوانية)، وفي عام 1817 م في عهد الوالي داود باشا نزلت هذه العشيرة غرب مدينة المسيب التابع الى لواء الحلة، وجاء شيوخهم الى داود باشا لعرض الطاعة وليستأذنوا منه للرعي والاكتيال[2] واشترط عليهم الباشا ان لا يمسوا يمسوا احدا ولا يتسببوا في اخلال الامن، ولكن كان ذلك غير ممكن تحقيقه، لاسيما ان الصقور بدو رحل[3]، لذا فإن ما قام قام به الوالي من ضيافة وتكريم وما فرض عليهم من شروط لم تجد نفعا فبدأ الصقور يثيرون القلاقل ويعبثون بالامن ويغيرون على العشائر المجاورة في لواء الحلة. [4]

ازاء هذه الاوضاع التي وصلت اخبارها الى الوالي داود باشا امر الاخير بتجهيز حملة عسكرية لمعاقبة شيوخ الصقور ومن ثم اجلاء العشيرة من الحلة ولاسيما انها ليست منطقة سكناهم، وكانت تلك الحملة بقيادة الخزنه دار[5] يحيى اغا الذي لم يفلح بملاقاة الصقور، لانه حين وصل الى حدود لواء الحلة وعبر جسر المسيب انهزم شر هزيمة، كونه ولسوء حظه لم يكن عارفا بتفاصيل المنطقة، فضلاً عن عدم ترتيب صفوف جيشه لارتباكه والاهم من ذلك هو انه غير مطلَّع بالامور الحربية، لذا كُسر جيشه وامره داود باشا بالرجوع.[6]

ان عودة الحملة بتلك الصورة اعطت انطباعا للعشائر الباقية بضعف يحيى اغا وقواته مما ولد باعثاً قوياً لتحديات الصقور من جديد وتماديها على المناطق المجاورة ومشجعاً لها على توسيع دائرة غزواتها، لذا حذت حذوها بعض العشائر المجاورة مثل القشعم وجليحة وعفك[7] إذ اخذت بعض تلك العشائر تهديد زوار النجف وكربلاء.[8]

وحاول داود باشا معالجة تلك الاوضاع بقوة فجهز جيشا جديدا اخراً بقيادة الكتخدا محمد اغا، فخرجت هذه الحملة من بغداد في عام 1818م متوجهةً نحو المسيب لملاحقة عشيرة الصقور، والتقى محمد اغا مع ثمانية عشر من رؤساء عشيرة الصقور، وبحجة المفاوضات استصحبهم الى مدينة الكوفة وهناك اعتقلهم وذهب بهم مقيدين الى الوالي داود باشا في بغداد[9]، وبعد ان انتهى محمد اغا من عملياته العسكرية في الحلة ومنطقة الفرات الاوسط ترك جماعات من جنوده فضلا عن بعض رجال عشيرة عقيل التي ساعدته في محاربة الصقور في الحلة لحفظ الامن هناك وجباية الضرائب والغرامات التي فرضتها الحكومة على العشائر الثائرة، ورجع الى بغداد في بداية عام 1819م.[10]

---

(1) الصقور: من العشائر التي يرجع اصلها الى قبيلة عنزه، ولهم فروع عدة وهي عشائر بدوية لم تستقر في مكان ثابت، ومن فروعها الدهمان والمصاعب والجلال والدلمة والمجول والعطيفات وغيرهم. ينظر: أديب عبد الله النوايسة، المصدر السابق، ص810-811.

(2) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص130.

(3) عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، المصدر السابق، ج3، ص103.

(4) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص256.

(5) الخزنة دار، صاحب المال، مسؤول المالية.

(6) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص257

(7) جليحة وعفك: من مناطق الديوانية. ينظر: وادي العطية، المصدر السابق، ص17.

(8) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص 288-289.

(9) سليمان فائق، تاريخ بغداد، ترجمة علاء موسى كاظم نورس، بغداد، 1962، ص120.

(10) علي الوردي، المصدر السابق، ص246.

وعلى اثر ذلك النجاح والابتهاج بالنصر امر الوالي داود باشا ببناء جامع كبير في بغداد سمي جامع الحيدر خانه[1]؛ خانه[1]؛ في (شارع الرشيد) حاليا ويبدو ان الوالي داود باشا قام بتشييد هذا الجامع من باب الحمد والشكر لله على نصره.

ثورة محمد الكهية ومساندة عشائر الحلة لها

توالى حكام المماليك على لواء الحلة وكان من بينهم سليمان اغا الاربلي الذي تولى حكم الحلة ابان ولاية داود باشا على العراق، وكان الاربلي متعسفاً ظالماً شديداً على اهل الحلة وعشائرها حتى قيل عنه ((ان بيك الحلة ووالياها سليمان اغا الاربلي كان قد نصب على باب دائرته جذعا وكان يامر جلاوزته ان يصلبوا كل من يسخط عليه من اهل الحلة...))[2] حتى انه عندما رأى تضامن الحليين واتحادهم فيما بينهم وابتعادهم عن دوائر الحكومة عزا ذلك الى توجيهات محمد كاشف الغطاء[3].

فامر باخراجه وعائلته من الحلة لانه عده خطراً عليها فاستاءت عشائر الحلة من ذلك استياءً شديداً وصاروا ناقمين عليه[4] وشجع ذلك محمد اغا الكهية عام 1824 م على القيام بثورة كبيرة بمساندة العشائر الحلية، ومحمد الكهية شخصية قوية وقائد له مكانته القيادية بين المماليك.[5]

هناك عدة أسباب ساعدت محمد الكهية للقيام بثورته فضلا عما ذكر سابقا فان الوضع المتردي والمنهار للدولة العثمانية بشكل عام والمماليك في العراق بشكل خاص في تلك المرحلة، وانحطاط القوة الروحية بسبب الغزوات الفارسية فضلا عما تعانيه بغداد وباقي مدن العراق ومنها الحلة من ارتفاع الضرائب الجديدة الذي اخذ بجمعها داود باشا من اجل ارضاء اسياده في استانبول.[6]

ومن الأسباب الاخرى المهمة لهذه الثورة هو استبدال حاكم الحلة الحاج طالب أغا [7] بشخصية ركيكة هو احمد اغا الضعيف والمجنون وهو اخو الوالي داود باشا، فضلا عن رعاية بذور الثورة بين عشائر الحلة ونضجها، زد على ذلك التحالف العشائري الذي جرى في كربلاء المقدسة الذي ربط عشائر الحلة جميعها بعهد مقدس من اجل مساندة الثوار. [8] كل هذه الأسباب كانت مشجعة لمحمد الكهية من اجل القيام بثورته.

ان التفاف بعض العشائر الحلية ومنهم القشعم وال حميد وال رفيع وغيرهم من اهالي الحلة، شجعت محمد الكهية ان يعد العدة للهجوم على بغداد وان يطمع بالولاية، وبينما هو على هذا الحال حتى وصلت الاخبار الى داود باشا الذي جهز جيشا كبيرا بقيادة احمد اغا الكتخدا لملاقاة جيش محمد الكهية، واختلف المؤرخون حول الايعاز لمحمد الكهية بدخول

(1) الحيدر خانه: من مناطق بغداد، وتقع وسط شارع الرشيد، فيها جامع ضخم شيد زمن الوالي داود باشا عام 1819. ينظر: محمود شكري الالوسي، تاريخ مساجد بغداد واثارها، تهذيب محمد بهجت الاثري، بغداد، 1936، ص155.

(2) محمد حسن ال كاشف الغطاء، المصدر السابق، ورقة 133.

(3) هو الشيخ موسى بن الشيخ جعفر بن خضر الجناحي، صاحب كتاب كاشف الغطاء، وهو مؤلف وفقيه معروف. لمزيد من التفاصيل: ينظر: محمد محسن العاملي، طبقات اعلام الشيعة، ج2، النجف، 1954، ص ص 248-250.

(4) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص ص136-137.

(5) المصدر نفسه، ص 137.

(6) تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، ترجمة زينة جابر ادريس، بيروت، 2006، ص40.

(7) الحاج طالب اغا: هو والد المؤرخ العراقي سليمان فائق مؤلف كتاب تاريخ بغداد، واحد متصرفي الحلة فيما بعد. ينظر: محمد حسن علي مجيد، ولاة الحلة وحكامها، المصدر السابق، ص266.

(8) لونكريك، الصدر السابق، ص ص 297-298.

الحلة، إذ قال احدهم ((ان دخوله كان بايعاز من دولة فارس))[1]، وقال اخر ((ان محمد الكهية دخل الحلة باستدعاء من اهلها...))[2].

ومن خلال ما ورد في وجهتي النظر يرجح الباحث الرأي الثاني لان كل أسباب الثورة حدثت في الحلة فضلا عن الوضع المتردي داخل المدينة الذي كان يشجع على الثورة ضد المماليك.

التقى الطرفان المملوكي بقيادة احمد اغا الكتخدا وعشائر الحلة ومن ساندهم قرب الحلة، وانتهت المواجهة بانتصار محمد الكهية وكسر شوكة الجيش المهاجم مما زاد من عزيمة عشائر الحلة ومن ساندهم، ويعود السبب في ذلك الى أن استعدادات محمد الكهية واتباعه كانت منظمة مسبقاً، زيادة على ذلك كثرة اتباعه[3].

وكان لزاما على الوالي داود باشا ان يتخذ بعض الاجراءات لاخماد هذه الثورة، لذا اصدر امرا بارجاع الحاج طالب الى منصبه الاول حاكما على الحلة وتسلمه قيادة الجيش لملاقاة محمد الكهية وعشائر الحلة، فوصل الحاج طالب على راس جيش كبير الى اطراف الحلة وعندها التقى بجيش محمد الكهية الذي تأثر جدا بالحرب الدعائية التي شنها الباشا ضد هذا الجيش مما ادى الى تخاذل بعض العشائر المساندة ومنهم قبيلة قشعم في المعركة وانهزمت ودارت رحى معركة طاحنة بين الطرفين كانت الغلبه فيها لجيش داود باشا[4].

وابلت عشيرة العقيليين في هذه المعركة بلاءً وقاتلت قتالا مريرا ولها الفضل في ترجيح كفة جيش المماليك، إذ زحف العقيليون على الحلة على الرغم من قطع الجسر الذي يدخلهم الى الحلة من قبل اعوان محمد الكهية.[5]

وفعل العقيليون فعلتهم باهالي الحلة فقامو بنهب البيوت وتخريب الدور وقتلهم لكل من هو موال لمحمد الكهية، وبعد استقرار الموقف انسحبت قوات داود باشا تاركة في الحلة حامية عسكرية من العقيليين.[6]

واتبع العقيليون شتى انواع الاضطهاد باهالي الحلة حتى ان السكان اصابهم نوع من الاحباط النفسي لما اشاعوه من دعايات مسمومة ضد اهالي الحلة ومن جاورها من العشائر الحلية [7] ولذلك فان اهل الحلة ومن ساندهم من العشائر رفعوا رفعوا راية العصيان على الحكومة وحاصروا الحامية العقيلية في الحلة التي تركها داود باشا في احدى خانات الحلة المسمى (خان الحشاشة)[8]، إذ اقتحموا الخان وحاصروا العقيليين ودخلوا عليهم وقتلوا واحرقوا كل من في داخل الخان.[9] الخان.[9]

اما محمد الكهية فهرب الى عشائر المنفتك، إذ اراد اللجوء عند حمود الثامر ولكن الاخير اعتذر منه فهرب الى الحويزة وانتهت اخباره.[10]

وامر داود باشا بتجهيز جيش كبير اخر لدخول مدينة الحلة والاستيلاء عليها وعندما علم اهل الحلة بذلك استعدوا وتحصنوا في مدينتهم وتمكنوا من صد الجيش وعدم دخوله في الحلة، لولا بعض الانتهاكات وبعض الانهيارات التي

(1) احمد لطفي، تاريخ لطفي، استنبول، د.ت، ص125.

(2) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص ص 288-289.

(3) المصدر نفسه، ص289

(4) لونكريك، المصدر السابق، ص288.

(5) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص289

(6) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق ص137

(7) علي كاشف الغطاء، الحصون المنيعة في طبقات الشيعة، مخطوطة محفوظة في مؤسسة كاشف الغطاء، النجف، د.ت، ورقة 400.

(8) الحشاشة: احدى خانات الحلة. ينظر: يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص137.

(9) محمد حسن ال كاشف الغطاء، المصدر السابق، ورقة 35-36.

(10) عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، المصدر السابق، ص29.

اصابت بعضهم مما جعلهم يحرقون جسر الحلة لمنع قوات داود من الدخول الى الحلة إلا ان تلك القوات دخلت المدينة وأوقعت فيها كل ما يخزي، فقتلت أبنائها وهدمت واحرقت البيوت حتى خرج الناس فارين من بيوتهم الى اطراف الحلة.[1]

الخـــــاتمة

يعد المماليك من الرقيق الابيض، اشتراهم الوالي حسن باشا، واتخذ منهم خدماً تارة، وجنداً اشداء تارة اخرى، اعتمد عليهم في ايام الشدة والمحافظة على حكم المماليك، وان اكثرهم جلبوا من بلاد القوقاز، إذ اكثر حسن باشا من شرائهم وحرص على تربيتهم عسكرياً وادارياً في مدارس اعدها لهذا الغرض.

كانت منطقة الفرات الاوسط في عهد الولاة المماليك في حالة يرثى لها، لما امتاز بهِ هذا العهد من كثرة الاعتداء على الناس وارتكاب المجازر ضدهم واساليب تعذيب متنوعة لم تشهدها المنطقة من قبل، وبسبب انعدام الامن في ذلك العهد لكثرة ما قامت به العشائر من عمليات نهب وسلب وحرق مزارع العشائر الاخرى المجاورة عندما تضعف قوة جيش المماليك وتصبح غير قادرة على الوقوف بوجه تحركات العشائر التي كان عليها ان تجمع شملها وتشكل قوة قادرة على صد كل هجمات المماليك عليها بدلاً من الاقتتال فيما بينها، الامر الذي جعل الباحث ينظر الى بعض العشائر على انها غير منضبطة، والدليل على ذلك ما قامت به عشائر عنزة ومنهم الصقور بالاعتداء والسلب لعشيرة الدليم القاطنة في ضواحي الحلة.

وفي عهد المماليك ازدادت الثورات العشائرية وكادت العشائر ان تسيطر على الاوضاع في منطقة الفرات الاوسط، الامر الذي اضعف قوة المماليك في العراق وسرع من سقوطهم، وكلفت الحروب المماليك لعشائر الفرات الاوسط أموالاً كثيرة، لذا عمد المماليك الى فرض ضرائب باهظة على سكان المنطقة لسد نفقات الحروب وارضاء الباب العالي في استانبول.

ونجد ان الاهالي ينظرون الى المماليك نظرة فيها الكثير من الكراهية، إذ يعدوهم لصوصاً ينهبون اموالهم بطريقة جمع الضرائب والاستيلاء على خيرات بلادهم من دون ان يقدموا اية خدمة لهم، ولأجل اضعاف قوة العشائر في الفرات الاوسط اتخذت حكومة المماليك شتى الطرائق والوسائل لتحقيق أهدافها في السيطرة على المنطقة، لاسيما استعمالها اسلوب (فرق تسد)، إذ عملت على ضرب الشيخ الذي يعارض وجودهم وسياستهم بأخيه أو عمه، وقيامهم بخلع الشيخ واستبداله بآخر وهذا يزيد حدة التنافس والتناحر بينهم وتبقى حكومة المماليك المستفيدة الوحيدة من ذلك.

قائمة المصادر

أولاً: الكتب العربية والمعربة:

1- ابراهيم غانم الخزاعي، تاريخ خزاعة، ج1، بغداد، 1969.
2- ابراهيم فصح الحيدري، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، القاهرة، 1999.
3- أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، جمهرة النسب، تحقيق الدكتور ناجي حسن، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010.
4- احمد جودت، تاريخ جودت، ج3، ج11، استنبول، د.ت.
5- احمد علي الصوفي، المماليك في العراق، الموصل، 1952.
6- احمد لطفي، تاريخ لطفي، استنبول، د.ت.
7- أديب عبد الله النوايسة، المعجم الشامل للقبائل العربية والامازيغية، ج2، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2007.

(1) يوسف كركوش الحلي، المصدر السابق، ص137.

8- امين المدني، خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق، 1188هـ - 1242 هـ، القاهرة، 1371هـ.
9- تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، ترجمة زينة جابر ادريس، بيروت، 2006.
10-ثامر عبد المحسن العامري، معجم القبائل والاسر والطوائف في العراق، بغداد، 2001.
11-جاسم حسن شبر، تاريخ المشعشعين وتراجم اعلامهم، النجف، 1965.
12-جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق المظلمة، ج1، بيروت، 1971.
13-جون غوردن لوريمر، دليل الخليج (القسم التاريخي)، ج4، ترجمة مكتب الترجمة في قطر، 1967.
14-حمود الساعدي، بحوث عن العراق وعشائره، النجف، 1990.
15-رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء، ترجمة علاء موسى كاظم نورس، بيروت، 1963.
16-ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، القاهرة، 1957.
17-ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط4، بغداد، 1968.
18-سليمان فائق، تاريخ بغداد، ترجمة علاء موسى كاظم نورس، بغداد، 1962.
19-عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، بغداد، 1954.
20-ـــ، عشائر العراق، ج1، لندن، د.ت.
21-عبد الرحمن السويدي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق صفاء خلوصي، ج1، بغداد، 1962.
22-عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة، 1968.
23- ـــ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، 1968.
24-عثمان بن سند البصري، مطالع السعود باخبار الوالي داود، بغداد، دت.
25-علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق، 1750-1831، بغداد، 1975.
26-علي الشعيبي، آل قشعم، دمشق، 1988.
27-علي صالح الكعبي، دراسات تاريخية عن العشائر والاعلام العراقية، ج2، ط2، مؤسسة دلتا للطباعة والنشر، بيروت، 2010.
28-علي كاشف الغطاء، الحصون المنيعة في طبقات الشيعة، مخطوطة محفوظة في مؤسسة كاشف الغطاء، النجف، دت.
29-علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، بيروت، 2005.
30-كارسنن نيبور، رحلة نيبور للعراق، في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الامين، بغداد، 1965.
31-محمد ثريا، سجل عثماني او تذكرة مشاهير العثمانيين، ج1، استانبول، د.ت.
32-محمد حسن ال كاشف الغطاء، العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية، النجف، د.ت.
33-محمد علي الصوفي، المماليك في العراق، الموصل، 1952.
34-محمد علي اليعقوبي، البابليات، ج2، النجف، 1954.
35-محمد فريد، تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة، 1912.
36-محمد محسن العاملي، طبقات اعلام الشيعة، ج2، النجف، 1954.
37-محمود شكري الالوسي، تاريخ مساجد بغداد واثارها، تهذيب محمد بهجت الاثري، بغداد، 1936.
38-وداي العطية، تاريخ الديوانية قديما وحديثا، النجف، 1954.
39-ياسين العمري، غاية المرام في تاريخ بغداد، دار السلام، بغداد، 1968.
40-يعقوب سركيس، مباحث عراقية، ج1، بغداد، 1948.
41-يوسف كركوش الحلي، تاريخ الحلة، ق1، ط1، النجف، 1965.

ثانياً: الكتب الاجنبية:

1. Abraham. parsons ،Travel in Asia and Africa ،London ،1808.
2. Dikson. H. R. P. ،The Arab of the desert ،London ،1967.
3. Edward. Lives ،Voyage from England to India 1754 ،London ،1898.
4. Layard. Henry ،Early adventures in Persian Usiuno and Babylonia ،London ،1984.
5. Mig. Mann ،Robert travel in challdea a jurney from Bussrah to Baghdad and Hilla and Babylon ،London ،1828.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

1. تنين صادق جعفر الانصاري، العراق في عهد سليمان باشا الكبير 1780-1802، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، 1998.
2. عدنان حسن محبوبة، مقاومة العراقيين للنفوذ الاجنبي 1750-1831، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، 1990.
3. عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العراق ابان عهد المماليك 1749-1831، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة القاهرة، 1976.
4. عمر ابراهيم محمد الشلال، لواء الدليم في عهد الحكم البريطاني المباشر على العراق 1917-1920، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، 2002.
5. مؤيد أحمد خلف الفهد، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية 1750-1869، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، 2002.

رابعاً: الموسوعات:

1- بهجت عبد الواحد، محمد العريس وآخرون، موسوعة قبائل وعشائر العرب، م1، ط1، منشورات دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2006.

خامساً: المجلات:

1- تايلر، رحلة تايلر الى العراق 1789-1790، ترجمة بطرس حداد، مجلة (المورد)، ع1، م11، بغداد، 1982.
2- محمد حسن علي مجيد، انتفاضة سنة 1787 العربية الثلاثية ضد حكم المماليك، مجلة (آفاق عربية)، ع1، تموز 1979.
3- ـــ، ولاة الحلة وحكامها، مجلة (المؤرخ العربي)، بغداد، ج2، 1980.
4- مشاهدات تكسيرا في العراق سنة 1604، ترجمة جعفر الخياط، مجلة (الاقلام)، ج4، س1، كانون الاول 1964.
5- يعقوب سركيس، تاريخ البصرة والمنتفق، مجلة (لغة العرب)، م4، س9، 1927.